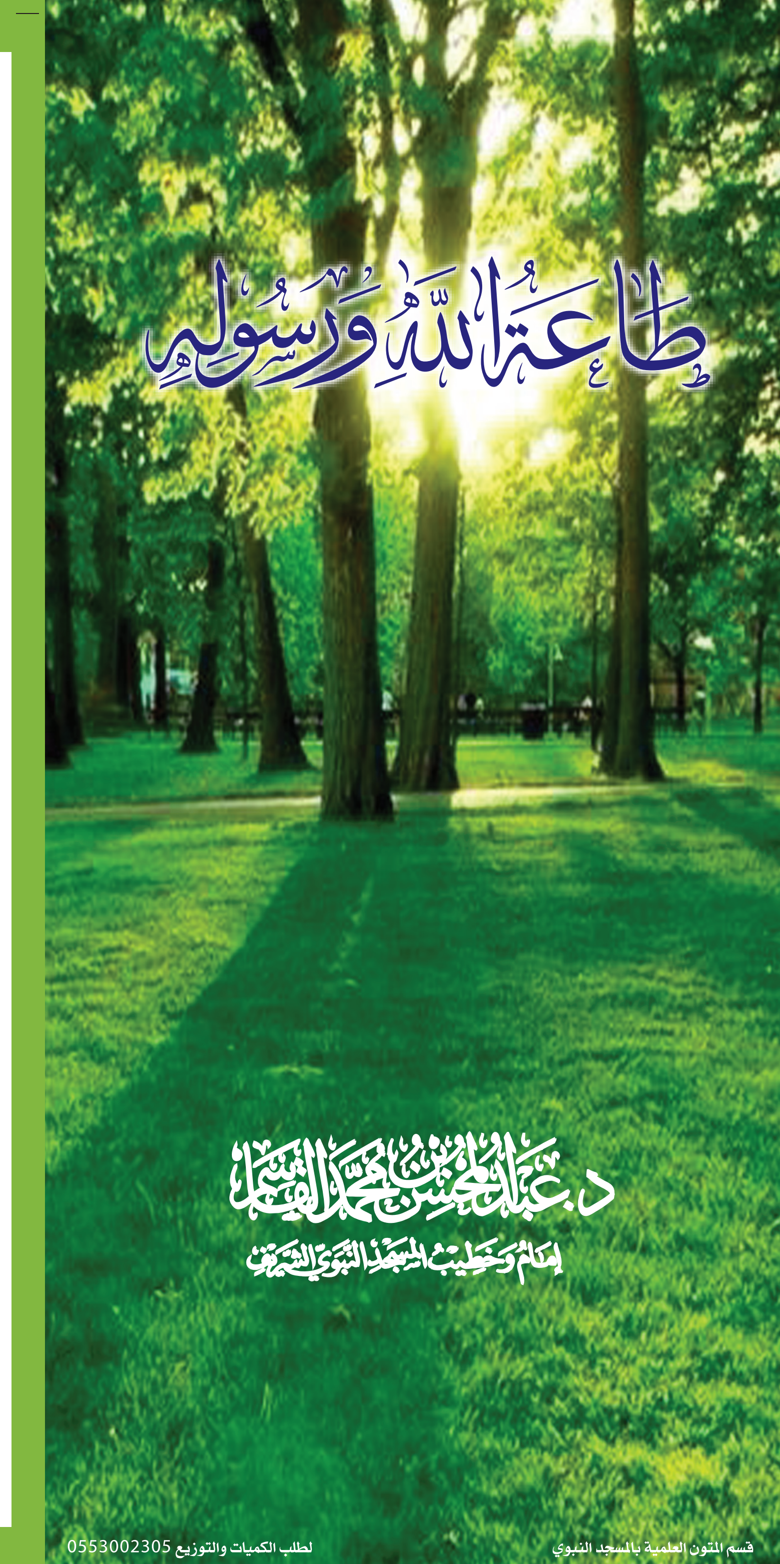


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّد، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.

أمَّا بعد:

❖ سبب الخير في الأرض:

أوجدَ اللَّهُ الثَّقلَيْن لعبادتِه، وأمرَهم بامتِثالِ أوامره، وكتبَ السعادةَ لأهل طاعته. وعبادتُه سبحانه هي الحِصنُ الذي من دخلَه كان من الآمِنين، ومن أدَّاها كان من الناجِين، وهي خيرٌ محضٌ لا ضررَ فيها، قال جل وعلا: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

وكلُّ خيرٍ في الأرض فإنَّه بسبب طاعةِ اللَّهِ ورسولِه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «ومن تدبَّر العالَمَ والشُّرورَ الواقِعةَ فيه علِمَ أنَّ كلَّ شرٍّ في العالَم سببُه مُخالفةُ الرَّسول ﷺ والخروجُ عن طاعتِه، وكلُّ خيرٍ في العالم فإنَّه بسببِ طاعة الرَّسول ﷺ، وكذلك الشرُّ والألمُ والغمُّ الذي يُصيبُ العبدَ في نفسِه فإنما هو بسببِ مُخالفة الرَّسولِ عليه الصَّلاة والسَّلام».

❖ سبب السَّعادة:

ومن رحمة اللَّه بعبادِه أن أمرَهم بالاستِجابة له لينالَهم الخير، فقال: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ

يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾، فاستجابَ المؤمنون لربِّهم وأفلَحوا ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وبذلك حَيَتْ قلوبُهم وعلا قدرُهم، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

❖ ثمراتُ الطَّاعة:

ومن بادرَ إلى طاعة ربِّه زادَه هُدًى إلى هُداه، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَتْبَعَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ كَانَ أَعْظَمَ تَوْحِيداً لِلَّهِ وَإِخْلَاصاً لَهُ فِي الدِّينِ، وَإِذَا بَعُدَ عَنْ مُتَابَعَتِهِ نَقَصَ مِنْ دِينِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ».

ومن استَجابَ لربِّه أُجيبَ دُعاؤُه، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ـ أي: يُجيبُ دُعاءَهم ـ ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾؛ بل وأحبَّه اللَّهُ ورحِمَه وأدخلَه الجنَّة، قال ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ـ أي: الجنة ـ.

❖ استجابةُ الرُّسلِ عليهم السلام لربِّهم:

والرُّسُلُ عليهم السلام بادَروا إلى الإذعان والتسليم؛ قال اللَّه لخليلِه إبراهيم عليه السلام: ﴿أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وأمرَه بذبحِ ابنِه بيدِه فتلَّه للجبين لذبحِه، وابنُه إسماعيلُ عليه السلام قال له: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وموسى عليه السلام سارعَ

لإرضاءِ ربِّه وقال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾، وأخذَ اللَّهُ ميثاقَ النَّبيِّين إن بُعِثَ فيهم نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ أن يُؤمِنوا به وينصُرُوه، فقالوا: ﴿أَقْرَرْنَا﴾، وقال اللَّه لنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾، فخرجَ إلى النَّاس داعِياً لهم إلى التَّوحيد، وقال له: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فقام حتى تفطَّرَت قدَماه.

❖ استجابةُ غير الرُّسلِ:

وحَوارِيُّو عيسى عليه السلام استَجابُوا له، قال لهم عيسى: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، وحثَّ الجنُّ بعضُهم بعضاً إلى إجابةِ دُعاءِ اللَّه ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

❖ مسابقةُ الصَّحابةِ رضي الله عنهم لطاعةِ اللَّه:

ونالَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم الفضلَ لصُحبتهم وإخلاصِهم وسَبقهم في الاستِجابةِ للَّهِ ولرسولِه، فزادَت رِفعتُهم عند اللَّه؛ أُمِرُوا باستِقبال الكعبة فحوَّلُوا وِجهتَهم من بيت المقدِس إليها حينما سمِعوا بتغييرها وهم في الصلاة، ولم يُؤخرُوا الامتِثالَ إلى الصَّلاة التي تليها.

وندَبَ النَّبيُّ ﷺ إلى الصَّدقة، فبذَلُوا نفيسَ أموالهم؛ فأنفقَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه نصفَ مالِه، وأنفقَ أبو بكر الصدِّيقُ رضي الله عنه مالَه كلَّه، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ؛ فَلَهُ الْجَنَّةُ** ـ فجهَّزه عُثمان ـ» رواه البخاري، ونزل قولُ اللَّه: ﴿لَن تَنَالُوا۟

ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فقام أبو طلحة رضي الله عنه إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ» رواه البخاري.

وبإشارةٍ من النَّبيِّ ﷺ لغِلمان الصَّحابة إلى فضلِ قيامِ اللَّيل كانوا عُبَّاداً للَّهِ فيه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام لعبد اللَّه بن عُمر رضي الله عنهما ـ وهو صغيرٌ ـ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**؛ فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً» متفق عليه.

❖ تضحيتُهم بأرواحِهم للَّه:

وفدَوُا النبيَّ ﷺ بأرواحِهم طاعةً للَّه؛ أتى المِقدادُ بن الأسوَد إلى النَّبيِّ ﷺ في غزوة بدر وهو يدعُو على المُشركين، فقال: «لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ، وَخَلْفَكَ، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ ـ يَعْنِي: قَوْلَهُ ـ» رواه البُخاريّ.

❖ تركوا الحلِفَ بغير اللَّهِ فوراً:

وكفَّ الصَّحابةُ رضي الله عنهم عن أقوالٍ وأفعالٍ حينَ سمِعوا النَّبيَّ ﷺ ينهَى عنها ولم يُراجِعوه فيها استِجابةً له، في الجاهلية كانوا يحلِفون بآبائِهم واعتادَته ألسِنتُهم، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**، قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْهَا ذَاكِراً، وَلَا آثِراً ـ أي: ناقِلاً هذه اللفظةَ عن غيري ـ» رواه مسلم.

❖ لم يأكلوا طعاماً وهم جياع:

وفي يوم مجاعةٍ طبَخوا طعاماً وترَكوه لنهي النَّبيِّ ﷺ عنه؛ في يوم خيبَر كانت الحُمُر الأهليَّة مُباحة فطبَخوها، فنادَى مُنادِي رسول اللَّه ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ؛ فَإِنَّهَا رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**، قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: فَأُكْفِئَتِ الْقُدُورُ بِمَا فِيهَا، وَإِنَّهَا لَتَفُورُ بِاللَّحْمِ» متفق عليه.

❖ تركوا شراباً لما نزل تحريمه:

والخمرُ كان مُباحاً إلى أوائِل الإسلام، وبسماعِهم نهيَه من رجُلٍ يمشِي في الطُّرُقات أراقُوها؛ قال أبو النُّعمان رضي الله عنه: «كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ؛ فَنَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ، فَأَمَرَ مُنَادِياً فَنَادَى، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: اُخْرُجْ فَانْظُرْ، مَا هَذَا الصَّوْتُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ: هَذَا مُنَادٍ يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأَهْرِقْهَا، قَالَ: فَجَرَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ» متفق عليه، وفي روايةٍ: «فَمَا رَاجَعُوهَا وَلَا سَأَلُوا عَنْهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ».

❖ تأسِّيهم بالنَّبيِّ ﷺ وهو لم يكلِّمهم:

ويتأسَّوْنَ رضي الله عنهم بالنَّبيِّ ﷺ فيما يلبَسُونَه من غير أن يُكلِّمهم بشيءٍ، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «اِصْطَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ وَكَانَ يَلْبَسُهُ، فَيَجْعَلُ فَصَّهُ فِي بَاطِنِ كَفِّهِ، فَصَنَعَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ، ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ: **إِنِّي كُنْتُ أَلْبَسُ هَذَا الْخَاتَمَ، وَأَجْعَلُ فَصَّهُ مِنْ دَاخِلٍ**، فَرَمَى بِهِ، ثُمَّ قَالَ: **وَاللَّهِ، لَا أَلْبَسُهُ أَبَداً**، فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ» متفق عليه.

❖ مبادَرةُ غلمان الصَّحابةِ لطاعةِ النَّبيِّ ﷺ:

وكتبَ عبدُ اللَّه بن عمر رضي الله عنهما وصيَّتَه حين سمِع قولَ النَّبيِّ ﷺ: «مَا حَقُّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» متفق عليه، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي».

❖ حفِظُوا ألسنتَهم للَّه:

وبادَرُوا رضي الله عنهم إلى حفظِ ألسِنَتهم عما لا يليقُ امتِثالاً لوصيَّة النبي ﷺ، قال جابرُ بن سُليم رضي الله عنه: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَفِيَّ جَفَاؤُهُمْ؛ فَأَوْصِنِي، قَالَ: **لَا تَسُبَّنَّ أَحَداً**، قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ أَحَداً، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيراً» رواه أحمد.

❖ انقيادُهم للأوامر:

وانقادُوا لأوامر النَّبيِّ ﷺ في حركاتِهم وسكَناتِهم؛ في يوم خيبَر أعطى النَّبيُّ ﷺ الرَّايةَ لعليٍّ رضي الله عنه، وقال له: «**اِمْشِ، وَلَا تَلْتَفِتْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ**، فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئاً ثُمَّ وَقَفَ، فَصَرَخَ ـ أي: لبُعْدِه عن النَّبيِّ ﷺ وَلَمْ يَلْتَفِتْ، امْتِثَالاً لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه! عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟» رواه مسلم.

❖ اجتنابُهم للنَّواهي:

وابتَعَدوا عما نهاهم عنه وإن كان في ارتِكاب النَّهي مصلحةٌ ظاهرةٌ لنُصرةِ المسلمين، قال النَّبيُّ ﷺ

لحُذيفةَ رضي الله عنه يوم الأحزاب: «**اِذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ** ـ أي: لَا تُفزِعْهُم فيَعْرِفُونَك ويُقبِلُوا علَيْنَا ـ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَأَى أَبَا سُفْيَانَ قَرِيبًا مِنْهُ ـ وَكَانَ حِينَئِذٍ قَائِدَ الْمُشْرِكِينَ ـ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ ـ أي: يُدْفِئُهُ مِنَ الْبَرْدِ ـ، قَالَ: فَوَضَعْتُ سَهْماً فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ» رواه مسلم.

❖ طاعتُهم للَّهِ ورسولِه نابعٌ من إيمانٍ راسِخ:

واتِّباعُهم للنَّبيِّ ﷺ في الأوامر والنَّواهي عن إيمانٍ ويقينٍ راسِخ، قال رافعُ بن خُديج رضي الله عنه: «نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعاً، وَطَوَاعِيَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا» رواه مسلم.

❖ نساءٌ أطعنَ اللَّه:

ونساءٌ مُؤمناتٌ بادَرْن للاستِجابة طاعةً للَّه؛ هاجرُ عليها السلام توكَّلَت على ربِّها، وأطاعَت زوجَها، وسكَنَت وادياً لا زرعَ فيه ولا ماء، وليس بمكَّة يومئذٍ أحَد، وفي ظاهر الحال هلاكٌ لها ولولدِها، فقالت لزوجِها ـ إبراهيم عليه السلام ـ: «**آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذاً لَا يُضَيِّعُنَا**» رواه البخاري.

❖ محبَّتهنَّ للحجاب:

ولما نزل فرضُ الحجابِ على الصَّحابيَّات لم يكُن إذ ذاك عندهم قماشٌ للحجاب، فبادَرْنَ إلى شقِّ

ثيابٍ لهنَّ، وحَجَبْنَ به وجوههنَّ امتِثالاً لأمر اللَّه، قالت عائشةُ رضي الله عنها: «يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ ـ وهو الزَّائدُ من أُزُرِهِنَّ ـ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا» رواه البخاري.

❖ أكملُ النَّاس:

طاعةُ اللَّه ورسولِه تحقيقٌ للشهادتَين وكمالٌ في العبودية؛ فإن طَرَقَ سمعَك أمرٌ فسارِعْ لامتِثالِه وأنت فرِحٌ مسرورٌ بعبادةِ ربِّك، وإن كان نهياً فاجتنِبْه وَانْأَ عنه مُوقِناً بضرره، طالِباً مرضاةَ خالقِك.

وأكملُ النَّاس حياةً أكملُهم استِجابة، ومن فاتَه جُزءٌ منها فاتَه جزءٌ من الحياة، ومن لم يستجِب للَّهِ استجابَ لغيره من المخلوقين وأذلَّه.

❖ آثارُ معصيةِ اللَّه:

واللَّهُ حذَّر من عِصيانِه فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قال أبو بكر رضي الله عنه: «لَسْتُ تَارِكاً شَيْئاً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ، إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، إِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ» متفق عليه.

❖ الكسلُ عن الطَّاعة:

والتردُّد في فعل الطاعة أو الكسلُ في أدائِها يُنافِي كمالَ الامتِثال، ومن قدَّم قولاً على قول النَّبيِّ ﷺ لم يكُن من المُستجيبين له، وفي الآخرة كلُّ أمَّة محمَّدٍ ﷺ يدخُلون الجنَّةَ إلا من أبى، قَالُوا يَا

رَسُولَ اللَّهِ: وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**» رواه البخاري.

والمُعرِضُ يتمنَّى الرُّجوعَ إلى الدُّنيا لطاعةِ اللَّهِ ورسولِه، ويودُّ الافتِداء بملءِ الأرض ومثلِه للنَّجاة من العقوبة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾.

نسألُ اللَّهَ أن يجعلَنا من المستجيبين للَّهِ ولرسولِه.

وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.

